شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

صيد الخاطر

المؤلف

عبدالرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة لايبزج، بألمانيا.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يصل الولي الى الله تعالى حتى ينقطع عنه شهوة الوصول اى انقطاع ادب لا انقطاع عمل لغلبة التقصير على قلته

طبقات

وشرح الشيخ عبد الغني قدس سره هذا العيب بكلمة في بعض المواضع وترك البعض ثم

قال

ليس مرادنا في هذا الشرح الا بيان الموضع المستشكلة من جملة الخرقة الالهية فلا تطيل ببيان ما عداذلك

قال الشيخ محمد البكري

قدس سره

وقد جمعت جميع ما في فتوحات الشيخ الاكبر في هذا الكتاب وهو قوله

ودوائر الحاء بها شغل الفكر ظاهرها خلق وباطنها امر

وذيل عليه الشيخ عبد الغني في ديوانه

لحقيقة في اجمعه

44

هذا كتاب صيد الخاطر

لابن الجوزي

رحمة الله

تعالى

امين

لم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله الحمد لله حمد ايبلغ رضاه، وصلى الله على اشرف من اجتباه، وعلى من صاحبه ووالاه، وسلم تسليما لايدرك منتهاه، لما كانت الخواطر تجول في نفسي اشيا تعرض لها ثم تعرض عنها فتذهب كان من اولي الامور حفظ ما يخطر لكيلا ينسى وقال عليه الصلاة والسلام قيدوا العلم بالكتاب وكم قد خطر لي شي فاتشاغل عن اثباته فيذهب فاتاسف عليه ورايت من نفسي انني كلما فتحت بسر التفكر سنح له من عجايب الغيب مالم يكن في حسابه فانثال عليه من كتب التفهيم مالايجوز التفريط فيه فجعلت هذا الكتاب قيدًا لصيد الخاطر والله ولي النفع انه قريب مجيب فصل قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة فاذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة فتدبرت السبب في ذلك فعرفته ثم رايت الناس يتفاوتون في ذلك فالحالة العامة ان القلب لايكون على صفة من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها بسببين احدهما ان المواعظ كالسياط والسياط لاتؤلم بعد انقضايها ايلامها وقت وقوعها والثاني ان حال سماع المواعظ يكون الانسان فيها مزاج العلة فتخلي بجسمه وفكره عن اسباب الدنيا وانصب بحضور قلبه فاذا عاد الى الشواغل اجتذبته باقاتها وكيف يصح ان يكون كما كان وهذه حالة لم تخلق الا ان ارباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الاثر فمنهم من يعزم بلاتردد ويمضي من غير التفات فلو توقف بهم ركب الطبع لنجوا كما قال

حنظله

حنظله عن نفسه فافق حنظلة ومنهم اقوام يميل لهم الطبع الى الغفلة احيانا ويدعوهم ما تقدم من المواعظ الى العمل احيانا فهم كالسنبلة تميلها الرياح واقوام لايوثر فيهم الاتعاظ سماعه كماء دحرجته على صفوان فصل جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة ثم هي من داخل ذكرنا الاخره امر خارج عن الطبع ثم هي من خارج وربما ظن من لاعلم له ان جواذب الاخره اقوي لما يسمع من الوعيد في القران وليس كذلك لان مثل الطبع في ميله الى الدنيا كالماء الجاري فانه يطلب الهبوط وانما رفعه الى فوق يحتاج الى الكلف ولهذا الجاب معاون الشرع بالترغيب والترهيب يقوي جند العقل فاما الطبع فجواذبه كثيرة وليس العجب ان يغلب انما العجب ان يغلب فصل من عاين بعين بصيرته تناهي الامور في بدايتها نال خيرها ونجى من شرها ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس فقاد عليه بالالم ما طلبته منه السلامة وبالنصب ما رجا منه الراحة وبيان هذا اني للمستقبل تبيين تذكر الماضي وهو انك لايخلو ان تكون عصيت الله في عمرك او اطعته فاين لذة معصيتك واين تعب طاعتك هيهات رحل كل بما فيه فليت الذنوب اذ تخلت خلت وازيدك في هذا بيانا مثل ساعة الموت الساعة وانظر الي مرارة الحسرات على التفريط ولا اقول كيف تغلب حلاوة اللذات لان حلاوة اللذات استحالت حنظلا فبقيت مرارة الاسي بلا مقاوم اتراك ماعلمت ان الامر بعواقبه فراقب العواقب تسلم ولاتمل الحس تندم فصل من تفكر في عواقب الدنيا اخذ الحذر ومن ايقن بطول الطريق تاهب للسفر ما اعجب امرك يا من يوقن بامر ثم ينساه ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه تغلبك نفسك على ما تظن ولاتغلبها

على ما تستيقن اعجب العجايب سرورك بعز ورك وسهوك في لهوك
عما قد جني لك تغترّ بصحتك وتنسى دنو السقم وتفرح بعافيتك غافلا
عن قرب الالم لقد اراك مصرع غيرك مصرعك وابدا مضجع سوال
قبل الممات مضجعك وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك
كانك لم تسمع باخبار من مضى ولم تر في البازين ما يصنع الدهر
فان كنت لا تدري فتلك ديارهم تماها بحال الدرج بعدك والقبر
كم رايت صاحب منزل ما نزل لحده حتى نزل وكم شاهدت والي قصر وليدة
عدو لما عزل فيا من كل لحظه الي هذا يشري وفعله فعل من لا يفهم ولا يدري
وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في اي المحلين تنزل
فصل من قارب الفتنة بعدت عنه السلامه ومن ادعى الصبر وكل الي نفسه
ورب نظرة لم ينا ظر واعق الاشيا بالضبط والقهر اللسان والعين فاياك
اياك ان تغتر بعزمك على ترك الهوي مع مقاربة الفتنة فان الهوي
مكايد وكم من شجاع في صف الحرب اعتيل فاتاه مالم يحتسب من يامن
من النظر اليه واذكر حمزة وحشي

فتبصر ولا تشم كل برق ربّ برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تستريح من غرام تكتفي فيه بؤب ذل وشين
فبلاء الهوي موافقة النفس وبدؤ الهوي طموح العين

فصل اعظم المعاقبة ان لا يحس المعاقب بالعقوبه واشد من
ذلك نفع السرور بما هو عقوبة كالفرح بالمال الحرام والتمكن من
الذنوب ومن هذه حاله لا لفوت طاعة وان تدبرت احوال اكثر
العلما والمتزهدين فرايتهم في عقوبات لا يحسون بها ومعظمها من

قبل

قبل طلبهم للرياسة فالعالم منهم يغضب ان رد عليه حظاوه
والواعظ متصنع بوعظه والمتزهد منافق اومرائي فاول عقوباتهم
سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد ولولا رجال مومنون ونسا مومنات
يحفظ الله بهم الارض بواطنهم كظواهرهم بل اجلا وسرايرهم كعلانيتهم
بل احلا وهممهم عند الثريا بل اعلا ان عرفوا تنكروا وان ريّت لهم
كرامة انكروا فالناس في غفلاتهم وهم في قطع فلاتهم تحبهم
بقاع الارض وتفرح بهم املاك السما نسال الله عز وجل التوفيق
لاتباعهم وان يجعلنا من اتباعهم فصل من علامة كمال العقل
علو الهمة والرامي بالدون دني ولم ار في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام فصل سبحان من سبقت
محبته لاحبابه فمدحهم على ما وهب لهم واشتري منهم ما اعطاهم
وقدم المتاخر من اوصافهم لموضع ايثارهم فما هي بهم في نومهم
فاحب خلوف افواههم يالها من حالة مصونة لا يقدر عليها كل
خاطب ولا يبلغ كنه وصفها كل خاطب فصل الواجب على العاقل
اخذ العدة لرحيله فانه لا يعلم متى ينجاوه امر ربه ولا يدري متى
يستدعي واني رايت خلقا كثيرا غرهم الشباب ونسوا فقد الاقران
والهاهم طول الامل وربما قال العالم المحسن لنفسه اشتغل بالعلم
ثم اعمل به فيتساهل في الزلل بحجة الراحة ويوخر الرجا لتحقيق التوبه
ولا يتماشى من غيبة اوسماعها ومن كسب شبهة يامل ان يمحوها بالورع
وينسى ان الموت قد يبغت فالعاقل من اعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه
فان بغته الموت رئي مستعدا وان نال الامل ازداد جنوا فصل

خطرت لي فكرة فيما يجري على كثير من العالم من المصايب الشديدة
والبلايا العظيمة التي تتناهي الى نهاية الصعوبة فقلت سبحان
الله ان الله اكرم الاكرمين والكرم يوجب المسامحة فما وجه هذه المعاقبة
فتفكرت فرايت كثيرا من الناس في وجودهم كالعدم لا يتصفون ادلة
الوحدانية ولا يتطرون في اوامر الله تعالى ونواهيه بل يجرون على
عاداتهم كالبهايم فان وافق الشروع مرادهم والا فعولهم على اغراضهم
وبعد حصول الدنيا ولا يبالون من حلال كان ام حرام وان سهلت
عليهم الصلاة فعلوها وان لم تسهل تركوها وفيهم من يمارس بالذنوب
العظيمة مع نوع معرفة الناهي وربما قويت معرفة عالم منهم وتفاقمت
ذنوبه فعلمت ان العقوبات وان عظمت دون اجرامهم فاذا وقعت
عقوبة لتمحص دينا صاح مستغيثهم تري هذا باي ذنب ويلقى
قد كان مما تتزلزل الارض لبعضه وقد يهان الشيخ في كبره حتى تزهد
القلوب ولا يدري ان ذلك لاجلها لدى الله تعالى في شبابه فمتى رايت
معاقبا فاعلم انه لذنوب **فصل** تاملت التحاسد بين العلما فرايت
منشاه من حب الدنيا فان علما الاخرة يتوادون ولا يتحاسدون كما قال
عز وجل ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال تعالى والذين
جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا وقد كان ابو الدرداء يدعو لكل
ليلة لجماعة من اخوانه وقال الامام احمد بن حنبل لولد الشافعي ابوك
من السنة الذين ادعو لهم وقت السحر والامر الفارق بين الفيئتين
ان علما الدنيا ينظرون في الرياسة فيها ويحبون كثرة الجمع والثنا

وعلما

وعلما الاخرة بمعزل من ايثار ذلك وقد كانوا يتخوفونه ويرحمون
من بلي به وكان النخعي لا يستند الى سارية وقال علقمة اكره ان
يوطا عقبي ويقال علقه وكان بعضهم اذا جلس اليه اكثر من اربعة
قام عنهم وكانوا يتدافعون الفتوى ويحبون المحول وشل القوم
كمثل راكب البحر وقد خب فعنده شغل الى ان يوقن بالنجاة وانما كان
بعضهم يدعو لبعض ويستفيد منه لانه ركب تصاحبوا فتولدوا
فالايام والليالي مراحلهم الى سفر الجنة **فصل** من احب ان نضيفه
الاحوال فليجتهد في نضيفة الاعمال قال عز وجل وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يروي عن ربه عز وجل لو ان عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل
واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وقال صلى الله عليه وسلم
البر لا يبلى والاثم لا ينسى والديان لا ينام وكما تدين تدان وقال ابو سليمان
الداراني من صفى صفي له ومن كدر كدر عليه ومن احسن في ليله كوفي
في نهاره ومن احسن في نهاره كوفي في ليله وكان شيخ يدور المجالس
ويقول من سره ان تدوم له العافية فليتق الله عز وجل وكان الفضيل
بن عياض يقول اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي
واعلم وفقك الله انه لا يحس بضرب مبرح وانما يعرف الزيادة من
النقصان المحاسب لنفسه ومتى رايت تكديرا في حال فاذكر نعمة ما
شكرت او زلة قد فعلت واحذر من نفار النعم ومناحاة الفهم ولا تغتر
بسعة بساط الحلم فربما عجل انتقامه وقد قال الله عز وجل ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وكان ابو علي الروذباري يقول من

الاغترار ان تمنى فيحسن اليك فتترك التوبة توهما انك تسامح في
الهفوات فصل تفكرت يوما في التكليف فرايته ينقسم الى سهل وصعب
فاما السهل فهو اعمال الجوارح الا ان منه ما هو اصعب من بعض فالوضوء
والصلاة اسهل من الصوم والصوم ربما كان عند قوم اسهل من الزكوة
واما الصعب فتتفاوت فبعضها اصعب من بعض فمن المستصعب النظر
والاستدلال الموصلان الى معرفة الخالق فهذا اصعب عند من غلب
عليه الامور الحس عند اهل العقل ومن المستصعب غلبة الهوى وقهر
النفوس وكف اكف الطباع عن التصرف فيما يوثره وكل هذا يسهل
على العاقل النظر في ثوابه ورجاعاقبته وان شق عاجلا ولنا اصعب
التكاليف واعجبها انه قد ثبتت حكمة الخالق عند العقل ثم يراه
المتشاغل بالعلم المقبل على العبادة حتى يعضه الفقر بناجذيه
فيذل للجاهل في طلب القوت ويعين الفاسق مع الجهل حتى تقبض
الدنيا عليه ثم تراه ينشئ الاجسام ويحكمها ثم ينقض بناء الشباب
في مبدا امره وعند استكمال بنائه فاذا به قد عاد هشيما ثم تراه
يولم الاطفال حتى يرحمهم كل طبع ثم يقال له اياك ان تشك في انه ارحم
الراحمين ثم يسمع بارسال موسى الى فرعون ويقال له اعتقد ان الله اضل فرعون
واعلم انه ما كان لادم بد من اكل الشجرة وقد نهي بقوله وعصى ادم ربه
وفي مثل هذه الاشيا تحير خلق حتى خرجوا الى الكفر والتكذيب ولو
فتشوا على سر هذه الاشيا لعلموا ان تسليم هذه الامور تكليف العقل
ليذعن وهذا اصل اذا فهم حصل السلامة والتسليم نسال الله عز وجل ان يكشف
لنا من الغوامض التي حيرت من ضل انه قريب مجيب فصل ينبغي للانسان

ان

ان يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربه
وتقدم الافضل فالافضل من القول والعمل ولتكن نيته في الخير قائمة
من غير فتور ربما يعجز عنه البدن من العمل كما جاء في الحديث نية المومن
خير من عمله وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات فنقل عن عامر
بن عبد قيس ان رجلا قال له كلمني فقال له امسك الشمس وقال بن ثابت البناني
ذهبت القن ابي فقال يا بني دعني فاني في ورد السادس ودخلوا على بعض
السلف عند موته وهو يصلي فقيل له فقال الان تطوي صحيفتي فاذا علم
الانسان وان بالغ في الجد فان الموت يقطعه عن العمل على في حياته مايدوم
له اجره بعد موته فان كان له شي من الدنيا وقف وقفا وغرس غرسا وكري
نهرا وبنى في تحصيل ذريه تذكر الله بعده فيكون الاجر له اوان يصنف
كتابا من العلم فان تصنيف العالم ولده الخلد وان يكون عاملا بالخير عالما فيه
ينقل من فعله ما يقتدي الغير به فذلك الذي لم يمت قد مات قوم وهي في
الناس احياء فصل رايت من اعظم حيل الشيطان ومكره انه يخبط ارباب
الاموال بالاعمال والتشاغل باللذات القاطعه عن الاخرة واعمالها فاذا
اهلكهم بالمال حرضهم على جمعه وحثهم على تحصيله وامرهم بحراسته بخلا
بعد ذلك من يتيقن حيله وقوي مكره ثم دفن في هذا الامر من دقايق
الحيل الخفية ان خوف من جمعه المومنين فتقرطالب الاخرة منه
وبادر التايب يخرج ما في يده ولا يزال الشيطان يحرضه على الزهد
ويامره بالترك ويخوفه من طرقات الكسب اظهار النصيحة وحفظ
دينه وفي خفايا ذلك عجايب من مكره وربما تكلم الشيطان على لسان
بعض المشايخ الذين يقتدي بهم التايب فيقول له اخرج من مالك

وادخل في زمرة الزهاد ومتى كان لك غدا او عشا فلست من اهل الزهد
ولا تنال مراتب الحزم وبما كد وعليه الاحاديث البعيدة عن الصحة
والواردة على سبب ولمعنى فاذا اخرج ما في يده وتعطل عن مكاسبه
عاد يعلق طمعه بصلة الاخوان او يحتسن عنده صحبة السلطان لانه
لا يقوى على طريق الزهد والترك الا ايام ثم يعود الطبع فيتقاضى
مطلوباته فيقع في اقبح مما فر منه ويبذل اول السلع في التحصيل دينه
وعرضه ويصير متمندلا به ويقف في مقام اليد السفلى ولو انه
تطرق في سير الرجال وبلا يهم وتامل صحاح الاحاديث عن رؤسايهم
لعلم ان الخليل كان كثير المال حتى ضافت بلدته مواشيه وكذلك
لوط وكثير من الانبيا والجم الغفير من الصحابة وانما صبروا عند العدم
ولم يمتنعوا من كسب ما يصلحهم ولان تناول المباح عبد الوجود
وكان ابو بكر يخرج للتجارة والرسول صلى الله عليه وسلم حي وكان اكثر هم
يخرج فافضل ما ياخذ من بيت المال ويسلم من ذل الحاجة الى الاخوان
وقد كان ابن عمر لا يرد شيا ولا يسال واني تاملت على اكثر اهل الدين
والعلم هذه الحال فوجدة العلم شغلهم عن المكاسب في بدايا تهم فلما
احتاجوا الى نفوسهم ذلوا وهم احق بالعز وقد كانوا قديما يكفيهم من
بيت المال فضلات الاخوان فلما عدما في هذا الاوان لم يقدر متدين
على شي الا ببذل شي من دينه وليته قدر فربما تلف الدين ولم يحصل
له شي فالواجب على العاقل ان يحفظ ما معه وان يجتهد في الكسب ليزح
مداراة ظالم او مداهنة جاهل ولا يلتفت الى ترهات المتصوفه
الذين يدعون في الفقر ما يدعون فما للفقر الا موض العجزة وللصابر

على

على الفقر ثواب الصابر على المرض اللهم الا ان يكون جبانا عن التصرف
منقطعا بالكفاف فليس ذلك من مراتب الابطال بل هو من مقامات
الجبناء الزهاد واما المكاسب ليكون المعطي الا المعطي والمتصدق
لا المتصدق عليه ففي من مراتب الشجعان الفضلا ومن تامل هذا علم
شرف الغنى ومخاطرة فصل تاملت احوال الفضلا فوجدتهم في
الاغلب قد بخسوا من حظوظ الدنيا ورايت الدنيا غالبا في ايدي
اهل التقايص فنظرت في الفضلا فاذا هم يتاسفون على ما فاتهم
مما ناله اولو النقص وربما تقطع بعضهم اسفا على ذلك فخاطب
بعض المتاسفين فقلت له ويحك تدبر امرك فانت غالط من وجوه
احدها انه ان كانت لك همة في طلب الدنيا فاجتهد في طلبها تزح
التاسف على فوتها فانه قعودك متاسفا على ما ناله غيرك مع
تصور اجتهادك غاية العجز والثاني ان الدنيا انما تراد لتعمر لا
لتعمر وهذا هو الذي يدلك عليه علمك ويبلغه فهمك وما ينا له
اهل النقص من فضولها تؤذي ابدانهم فاذا عرفت ذلك ثم تاسفت
على فقد ما فقده اصلح لك كان تاسفك عقوبة لتاسفك على ما تعلم
المصلحة في بعده فاقنع بذلك عذابا عاجلا ان سلمت من العذاب
الاجل والثالث انك قد علمت بخس حظ الادمي في الجملة من مطاعم
الدنيا ولذاتها بالاضافة الى الحيوان البهيم لانه ينال ذلك اكثر
مقدارا مع امن وانت تناله مع خوف وقلة مقدار فاذا ضوعف
حظك من ذلك لجشمك كان لاحقا بالحيوان البهيم من جهة انه
يشغله ذلك عن تحصيل فضايل وتخفيف الموزن يحث صاحبه

على نيل مراتب فاذا اثرت مع قلة الفضول الفضول عدت على ما علمت
بالازراء فتشتت علمك ودلت على اختلاط رايك فصل تاملت اقدام
العلما بالعقاب على شهوات النفس المنهي عنها فرايتها مرتبة تزاحم
الكفر لولا تلوح معنى وهو ان الناس عند موافقة المحظور ينقسمون
فمنهم جاهل بالمحظور انه محظور فهذا نوع عذر ومنهم من يظن المحظور
مكروها لا محرما فهذا قريب من الاول وربما دخل في هذا القسم ادم
ومنهم من يتاول فيغلط كما يقال ان ادم نهي عن شجرة بعينها فاكل
من جنسها لا من عينها ومنهم من يعلم التحريم غير انه غلبات الشهوة
انسته بذكر ذلك فشغله ما راي عما يعلم ولهذا لا يذكر السارق القطع
بل يغيب بكليته في نيل الحظ ولا يذكر مرتكب الفاحشة الفضيحة ولا
الخذلان ما يريد به ذهله عما يعلم ومنهم من يعلم المحظور ويذكره غير
ان الاخذ بالحزم اولي بالعاقل كيف وقد علم ان هذا الملك الحكيم
قطع اليد في ربع دينار وهدم بناء الجسم المحكم بالرجم بالحجارة لاتلاف
ساعة وخسف ومسخ وغرق فصل من تامل افعال الباري
سبحانه راها على قانون العدل وشاهد الجزا مراصد اللمجازي ولو
بعد حين فلا ينبغي ان يغتر مسامح فالجزا قد يتاخر ومن اقبح الذنوب
التي قواعد لها الجزا العظيم الاصرار على الذنب ثم يصانع صاحبه باستغفار
وصلاة وتعبد وعنده ان المصانعة تنفع واعظم الخلق اغترارا من اتى
ما يكرهه الله وطلب ما يحبه هو كما روي في الحديث والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ومما ينبغي للعاقل ان يتوصده
وقوع الجزاف ان ابن سيرين قال عبرت رجلا فقلت يا مفلس فافلست

بعد

بعد اربعين سنة وقال ابن الجلا راني شيخ لي وانا انظر الى امرد فقال ما
هذا التجدن عنها فنسيت القرآن بعد اربعين سنة وبالضد من هذا
كل من عمل خيرا او صحح نية فلينتظر جزاها الحسن وان امتدت المدة
قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقال عليه السلام من غض بصره عن محاسن امراة اثابه الله ايمانا
يجد حلاوته في قلبه فليعلم العاقل ان ميزان العدل لا يحابي فصل
تاملت احوال الصوفيه والزهاد فوجدت اكثرها منحرفا عن الشريعة
بين جهل بالشرع وابتداع بالراي يستدلون بايات لا يفهمون معناها
وباحاديث لها اسباب وجمهورها لا يثبت فمن ذلك انهم سمعوا في
القران العزيز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وانما الحياة الدنيا
لعب ولهو وزينة ثم سمعوا في الحديث للدنيا اهون على الله من شاة
ميتة على اهلها فما الغوا في نهرها من غير بحث عن حقيقتها وذلك
انه ما لم يعرف حقيقة الشيء فلا يجوز ان يمدح ولا ان يذم فاذا بحثنا
عن الدنيا راينا هذه الارض البسيطه التي جعلت قرارا للخلق يخرج
منها اقواتهم ويدفن فيها اموتهم ومثل هذا لا يذم لموضع المصلحة
فيه ورايناما عليها من ماء وزروع وحيوان كله لمصالح الادمي وفيه
حفظ لسبب بقايه وراينا بقاء الادمي سببا لمعرفة ربه وطاعته
اياه وخدمته وما كان سببا لبقاء العارف العابد يمدح ولا يذم فبان
لنا ان الذم انما هو لافعال الجاهل او العامي في الدنيا فانه اذا اقتنى
المال المباح وادى زكاته لم يلم فقد علم ما خلف الزبير وابن عوف وغيرهما
وبلغت صدقة علي اربعين الفا وخلف ابن مسعود نيفين الفا وكان

الليث بن سعد يشتغل كل سنة عشرين وكان سفيان يتجر عمال وكان
ابن مهدي كل سنة يشتغل بالفي دينار وان اكثر من النكاح والسراري
كان ممدوحا لا ملوما فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم زوجات وسراري
وجمهور الصحابة كانوا على الاكثار من ذلك وكان لعلي بن ابي طالب
اربع حرائر وسبع عشرة امة وتزوج ولده الحسن نحوا من اربع مائة
فان طلب التزوج للاولاد فهو الغاية في التعبد وان اراد التلذذ
فمباح يندرج فيه من التعبد ما لا يجمي من اعفاف نفسه والمرأة الى
غير ذلك وقد انفق موسى عليه السلام من مهره الشريف عشرين سنة
في مهر بنت شعيب فلولا ان النكاح من افضل الاشياء لما ذهب كثير
من زمان الانبياء فيه وقد قال ابن عباس حبذا رهذه الامة اكثرها
نساء وكان بطاء جارية له وينزل في اخرى وقالت سرية الربيع بن
خيثم كان الربيع يعزل واما المطعم فالمراد منه تقوية هذا البدن
لخدمة الله عز وجل وحق على ذي الناقة ان يكرمها لتحمله وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد فان وجد اللحم اكله ويأكل
لحم الدجاج واحب الاشياء اليه الحلوى والعسل وما نقل عنه انه امتنع
من مباح وجيء لعلي رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا قالوا
يوم النيروز فقال نوروز والكل يوم وانما يكره الاكل فوق الشبع واللبس
على وجه الاختيال والبطر وقد اقتنع اقوام بالدون من ذلك لان الحلال
الصافي لا يكاد يمكن فيه تحصيل المراد والا فقد لبس النبي صلى الله عليه
وسلم حلة اشتريت بسبعة وعشرين بعيرا وكان لتميم الداري حلة اشتريت
بالف درهم يصلي فيها بالليل فجاء اقوام فاظهروا التزهد وانكروا

طريقة

طريقة زيتها الهم الهوى ثم تطلبوا لها الدليل وانما ينبغي للانسان
ان يتبع الدليل لان يتبع طريقا ويطلب دليلها ثم انقسموا فمنهم
متصنع في الظاهر ليث الشري في الباطن يتناول في خلوته الشهوات
ويتعكف على اللذات ويري الناس بزيه اني متصوف متزهد وما
يزهد الا القميص واذا نظر الى احواله فعنده كبر فرعون ومنهم سليم
الباطن الا انه بالشرع جاهل ومنهم من تصدر وصنف فاقتدى
به الجاهلون في هذه الطريقة وكانوا كالعمى اتبعوا العمي ولو انهم
تلمحوا للامر الاول الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة
لما زلوا ولقد كان جماعة من المحققين لا يبالون بعظم في النفوس
اذا حاد عن الشريعة بل يوسجونه لوما فنقل عن احمد انه قال له
المروذي ما تقول في النكاح فقال سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
فقد قال ابراهيم قال فصاح بي وقال جئتنا ببينات الطريق وقيل
له ان سريا السقطي قال لما خلق الله الحروف وقف الالف وسجدت
الباقي فقال نفروا الناس عنه واعلم ان المحقق لا يهوله اسم معظم
كما قال رجل لعلي بن ابي طالب اتظن انا نظن ان طلحة والزبير كانا
على الباطل فقال له ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله
ولعمري انه قد وقر في النفوس تعظيم اقوام فاذا نقل عنهم شئ فسمعه
جاهل بالشرع قبله لتعظيمهم في نفسه كما ينقل عن ابي يزيد انه قال
تراءت علي نفسي فحلفت لا اشرب الماء سنة وهذا اذا صح عنه
كان خطأ قبيحا وزلة فاحشة لان الماء ينفذ الاغذية الى البدن ولا يقوم
مقامه شئ فاذا لم يشرب فقد سعى في اذى بدنه وقد كان يستعذب الماء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لرسول الله صلى الله عليه وسلم افتري هذا فعل من يعلم ان نفسه ليست
له وانه لا يجوز التصرف فيها الا عن اذن مالكها ولكن كما يتقلون
عن بعض الصوفية انه قال سرت الى مكة على طريق التوكل حافيا
فكانت التوكلة تدخل في رجلي فاحكها بالارض ولا ارفعها وكان
علي مسح فكانت عيني اذا المتني ادلكها بالمسح فذهبت احدي
عيني وامثال هذا كثير وربما حملها القصاص على الكرامات وعظموها
عند العوام فيحا بل لهم ان فاعل هذا اعلا مرتبة من الشافعي واحمد
ولعمري ان هذا من اعظم الذنوب واقبح العيوب لان الله تعالى قال
ولا تقتلوا انفسكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لنفسك عليك حقا
وقد طلب ابو بكر في طريق الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم ظلا حتى
راي صخرة ففرش له في ظلها وقد نقل عن قدماء هذه الامة بدايا
هذا التفريط وكان سببه من وجهين احدهما الجهل بالعلم والثاني
قرب العهد بالرهبانية وقد كان الحسن يغيب فرقد الشيخي ومالك
ابن دينار في زهدهما فربي عنده طعام فيه لحم فقال لا رفيقي مالك
ولا صحناه فرقد وراي علي فرقد كساء فقال يا فرقد ان اكثر اهل
النار اصحاب الاكسية وكم قد زوق قاص مجلسه بذكر اقوام خرجوا
الى السياحة بلا زاد ولا ماء وهو لا يعلم ان هذا من اقبح الافعال
وان الله تعالى لا يحرب عليه فربما سمعه جاهل من التايبين فخرج
فمات في الطريق فصار للقابل نصيب من اثمه وكم يرون عن ذي
النون انه لقي امراة في السياحة فكلمها وكلمته ويتشون الاحاديث
الصحاح لا يحل لامراة ان تسافر يوما وليلة الا محرم وكم يتقلون ان اقواما

مشوا

مشوا على الماء وقد قال ابراهيم الحربي لا يصح ان احدا مشى على الماء
قط فاذا سمعوا هذا قالوا انكرون كرامات الاولياء الصالحين
فنقول لسنا من المنكرين لها بل نتبع ما صح والصالحون هم الذين
يتبعون الشرع ولا يتعبدون بارايهم وفي الحديث ان بني اسرايل
شددوا فشدد الله عليهم وكم يحيون على الفترة حتى حملوا اخلاقا على
اخراج اموالهم ثم ال بهم الامر اما الى التسخط عند الحاجة واما الى
التعرض بسوال الناس وكم تاذي مسلم بامرهم الناس بالتقلل
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث
نفس فما قنعوا حتى امروا بالمبالغة في التقلل فحكى ابو طالب المكي
في قوت القلوب ان فيهم من كان يزن قوته بكرته رطبة ففي
كل ليلة يذهب من رطوبتها قليل وكنت انا ممن اقتدي بقوله
في الصبا فضاق المعا واوجب ذلك مرض سنين افتري هذا
شي تقتضيه الحكمة او ندب اليه الشرع وانما مطية الادمي قواه
فاذا سعي في تقليلها ضعف عن العبادة فانا لو دخلنا ديار الروم
فوجدنا اثمان الخمور واجرة الفجور كان لنا حلالا او صنف الغنيمة
افتريد حلالا لاعلى معنى ان الجنة من الذهب لم تتقل مذ خرجت
من المعدن على وجه لا يجوز فهذا شي لم ينظر فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوليس قد سمعت ان الصدقة عليه حرام فلما
تصدق علي بريرة بلحم فاهدته جاز له اكل تلك العين لتغير
الوصف وقد قال احمد بن حنبل اكره التقلل من الطعام فان
اقواما فعلوه فعجزوا عن الفرايض وهذا صحيح فان المتقلل لا

يزال يتنقل الى ان يعجز عن النوافل ثم الفرايض ويعجز عن مباشرته
اهله واعفافهم وعن بذل القوي في الكسب لهم وعن نعل خير قد
كان يفعله ولا يهولنك ما تسمعه من الاحاديث التي تحث على الجوع
فان المراد بها اما الحث على الصوم واما النهي عن مقاومة الشبع
فاما تنقيص للطعم على الدوام فحرش في القوي فلا يجوز ثم في هولاء
المذمومين من يري هجر اللحم والنبي صلى الله عليه وسلم كان يود
ان يأكله كل يوم واسمع مني بلا محاباة لا تحتجن علي باسماء الرجال
فتقول قد قال بشر وقال ابراهيم ابن ادهم وان من احتج بالرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه اقوي حجة علي اذا فعال اوليك وجوه
يحملها عليهم بحسن الظن ولقد ذاكرت بعض مشايخنا ما يروي
عن جماعة من السادات انهم دفنوا كتبهم فقلت له ما وجه هذا
فقال احسن ما نقول ان سكت يشير الي ان هذا جهل من فاعله
وتاولت انا لهم فقلت لعل مادفنوا من كتبهم فيها شئ من
الراي فماراوا ان يحمل الناس به ولقد روينا في الحديث عن احمد
ابن ابي الحواري انه اخذ كتبه فرماها في البحر وقال نعم الدليل
كنت ولا حاجة لنا الى الدليل بعد الوصول الى المدلول وهذا اذا
احسنا به الظن قلنا كان فيها من كلامهم ما لا يرتضيه فاما
اذا كانت علوما صحيحة كان هذا من افحش الاضاعة وانا وان
تاولت لهم هذا انهو تاويل صحيح في حق العلماء منهم لا نا قد روينا
عن سفيان الثوري انه قد اومى بدفن كتبه وكان ندم على اشيا
كتبها عن قوم وقال حلني شهوة الحديث وهذا لانه كان

يكتب

يكتب عن الضعفا والمتروكين فكانه لما عسى عليه التمييز اومى
بدفن الكل وكذلك من كان له راي من كلام ثم رجع عنه جاز
ان يدفن الكتب التي فيها ذلك فهذا وجه التاويل للعلما فاما
المتزهدون الذين راوا صورة فحل العلم ودفنوا كتبا صالحة
ليلا تشغلهم عن التعبد فانه جهل منهم لانهم شرعوا في اطفاء
مصباح يضي لهم مع الاقدام على تضييع مال لا يحل ومن جملة
من عمل بواقعة في دفن كتب الحلم يوسف بن اسباط ثم لم يصبر
عن التحديث فخلط بعد في الضعفا انبانا عبد الوهاب بن المبارك
قال اخبرنا محمد ابن المظفر الشايي قال اخبرنا احمد بن محمد العتيقي
قال حدثنا يوسف بن احمد قال حدثنا محمد ابن عمرو العقيلي قال حدثنا
محمد بن عيسى قال اخبرنا احمد بن خالد الخلال قال سمعت شعيب
بن حرب يقول قلت ليوسف بن اسباط كيف صنعت بكتبك قال
جيت الى الجزيرة فلما نضب الماء دفنتها حتى جا الماء عليها فذهبت
قلت ما حملك على ذلك قال اردت ان يكون الهم هما واحدا قال العقيلي
وحدثني ادم قال سمعت البخاري قال قال صدقة دفن يوسف ابن اسباط
كتبه وكان بعد يغلب عليه فلا يجي كما ينبغي وقال المولف قلت
الظاهر ان هذه كتب علم تنفع ولكن قلة العلم اوجبت هذا التفريط
الذي تصدى به الخير وهو شر فلو كانت كتبه من حسن كتب الثوري
فان فيها عن ضعفا ولم يصح له التمييز قرب الحال اما تقليله يجمع
الهم وهو الدليل على انها ليست كذلك فانظر الى قلة العلم ماذا
يوثر مع اهل الخير ولقد بلغنا في الحديث عن بعض من معطى ونزوره

انه كان على شاطئ دجلة فبال ثم تيمم فقيل له اما قرب منك
فقال لعلمت ان لا ابلغه وهذا وان كان يدل على قصر الامل الا
ان الفقها اذا سمعوا هذا الحديث تلاعبوا به من جهة ان التيمم
انما يصح عند عدم الماء فاذا كان الماء موجودا كان تحريكا لليدين بالتيمم
عبثا وليس من ضرورة وجود الماء ان يكون الى جانبه المحدث
بل لو كان على اذرع كثيرة كان موجودا فلا فعل للتيمم ولا اثر
حينئذ ومن تامل هذه الاشياء علم ان فقيها واحدا وان قل اتباعه
وخفت اذا مات اشياعه افضل من الوف يتمسح العوام بهم
تبركا وتشيع جنايزهم ما لا يحمي وهل الناس الا صاحبا او يتبعه
او فقيه يفهم مراد الشرع ويفتي به نعوذ بالله من الجهل وتقليد
الاسلاف تقليدا لهم بغير دليل فان من ورد المشرب الاول راى
سايرا المشارب كدرة والمحنة العظمى مداح العوام فكم غرت
كما قال علي رضي الله عنه ما ابقى خفق النعال وراء الحمقى من معقول
شيا ولقد راينا وسمعنا من العوام انهم يمدحون الشخص ويقولون
لا ينام الليل ولا يفطر النهار ولا يعرف زوجة ولا يذوق من
شهوات الدنيا شيا قد نحل جسمه ودق عظمه حتى انه يصلي
قاعدا انهو خير من العلما الذين ياكلون ويتمتعون ذلك
مبلغهم من العلم ولو علموا ان الدنيا كلها لو جمعت في لقمة فتناولها
عالم يفتي عن الله ويخبر بشريعته كانت فتوى واحدة منه
يرشد بها الى الله خيرا وافضل من عبادة ذلك العابد باقي
عمره وقد قال ابن عباس فقيه واحد اشد على ابليس من الف عابد

ومن سمع

ومن سمع هذا الكلام فلا يظنن اني امدح من لا يعمل بعلمه وانما
امدح العاملين بالعلم وهم اعلم بمصالح انفسهم فقد كان فيهم
من يصلح على خشن العيش كاحمد بن حنبل وكان فيهم من
يستعمل رقيق العيش كسفيان الثوري مع ورعه ومالك مع
تدينه والشافعي مع قوة فقهه ولا ينبغي ان يطالب الانسان
بما يقوى عليه غيره فيضعف هو عنه فان الانسان اعرف
بصلاح نفسه وقد قالت رابعة ان كان صلاح قلبك في
الفالوذج فكله ولا تكونن ايها السامع ممن يري صور الزهد
فرب متنعم لا يريد التنعم وانما يقصد المصلحة وليس كل
بدن يقوي على الخشونة خصوصا من قد لا قى الكد واجهده
الفكر وامضه الفقر فانه ان لم يرفق بنفسه تترك واجبا عليه
من الرفق بهذه جملة لو شرحتها بذكر الاخبار والمنقولات
لطالت غير اني سطرتها على عجل حين طالت بي خاطري والله
ولي النفع برحمته **فصل** قد اشكل على الناس امر النفس
وما بهتهما مع اجماعهم على وجودها ولا يضر الجهل بذاتها
مع اثباتها ثم اشكل عليهم مصيرها بعد الموت ومذهب
اهل الحق ان لها وجودا بعد موتها وانها تنعم وتعذب قال احمد
بن حنبل ارواح المومنين في الجنة وارواح الكفار في النار
وقد جاء في احاديث الشهدا انها في حواصل طير خضر تعلق
من شجر الجنة وقد اخذ بعض الجهلة بظواهرها احاديث النعيم
فقالوا ان للموتى يا كلون في القبور وينكحون والصواب من ذلك

ان النفس تخرج بعد الموت الي نعيم او عذاب وانها تجدد ذلك الي
يوم القيمة فاذا كانت القيمة اعيدت الي الجسد ليتكامل لها
التنعم بالوسايط وقوله في جواهل طبر خضر دليل علي ان النفوس
لا تنال لذة الا بواسطة الا ان تلك اللذة لذة مطعم او مشرب
فاما الذات المعارف والعلوم فيجوز ان ينالها بذاتها مع عدم
الوسايط والمقصود من هذا المذكور اني رايت بعض الانزعاج من
الموت وملاحظة النفس بعين العدم عنده فقلت لها ان كنت مصدقة
للشريعة فقد اخبرت بما تعرفين ولا وجه للانكار وان كان هناك ريب
في اخبار الشريعة صار الكلام في بيان صحة الشريعة فقالت لا ريب عندي
قلت فاجتهدي في تصحيح الايمان وتحقيق التقوي وابشري جيئذ
بالراحة من ساعة الموت فاني لا اخاف عليك الا من التقصير في العمل
واعلمي ان تفاوت النعيم بمقادير درجات الفضايل فارتقي باجنحة
الجد الي اعلا ابراجها واحذري من قابض هوي او شرك غرة
والله الموفق **فصل** قلت يوما في مجلسي لوان الجبال حلت
ما حلت لعجزت فلما عدت الي منزلي قالت لي النفس كيف قلت هذا
وربما اوهم الناس ان بك بلا وانت في عافية في نفسك واهلك
وهل الذي حملت الا التكليف الذي يحمله الخلق كلهم فما وجه هذه
الشكوي فاجبتها اني لما عجزت عما حلت قلت هذه الكلمة لاعلي
سبيل الشكوي ولكن للاستراح وقد قال كثير من الصحابة وانا
بعين قبلي ليتنا لم نخلق وما ذاك الا لاثقال عجزوا عنها ثم من ظن
ان التكاليف سهلة فما عرفها اتري يظن الظان ان التكليف غسل

الاعضا

الاعضا بر طل من الما او الوقوف في محراب لاداء ركعتين هيهات
هذا اسهل التكليف وان التكليف هو الذي عجزت عنه الجبال
ومن جملته اني اذا رايت القدر يجري عالا يفهمه العقل الزمت
العقل الاذعان للمقدر فكان من اصعب التكليف وخصوصا
فيما لا يعلم العقل بمعناه كايلام الاطفال وذبح الحيوان مع
الاعتقاد بان المقدر لذلك والامر به ارحم الراحمين وهذا
ما يتحير العقل فيه فيكون تكليفه التسليم وترك الاعتراض
فكم بين تكليف البدن وتكليف العقل ولو شرحت هذا الطال
غير اني اعتذر عما قلته فاقول عن نفسي وما يلزمني حال غيري
اني رجل حببت الي العلم من زمن الطفولية فتشاغلت به ثم
لم يحبب الي فن واحد منه بل فنونه ثم لا تقتصر همتي في فن
علي بعضه بل روم استقصاءه والزمان لا يسمح والعمر ضيق
والوقت يفوت والعجز فيبقي وفوق بعض المطلوبات
حسرات ثم ان العلم دلني علي معرفة المعبود وحثني علي خدمته
ثم صاحت لي الادلة عليه اليه فوقفت بين يديه فرايته في
نعته وعرفته بصفاته وعاينت بصيرتي من الطافه ما
دعاني الي الهيمان في محبته وحركني الي التحلي لخدمته وصار
يملكني امر كالوجد كلما ذكرته فعادت خلوتي في خدمتي له
احلا عندي من كل حلاوة فكلما ملت الي الانقطاع عن التواصل
الي الخلوة صاح بي العلم اين تمضي اتعرض عني وانا سبب معرفتك
فاقول له انما كنت دليلا وبعد الوصول يستغني عن الدليل قال

هيهات كلما زدت زادت معرفتك بمحبوبك وفهمت كيف القرب
منه ودليل هذا انك تعلم عدد انك اليوم في نقصان اوما تسمعه
يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما ثم السنت
تبغي القرب منه فاشتغل بدلالة عباده عليه فهي حالات
الانبيا اما علمت انهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم
ان ذلك اثر عند حبيبهم اما قال الرسول لعلي رضي الله عنه لان
يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم فلما فهمت صدق هذه
المقالة تهوست علي تلك الحالة وكلما تشاغلت بجمع الناس تفرق
همي واذا وجدت مرادي من نفعهم ضعفت انا فابقى في حيز التحير
متردد الا ادري علي اي القدمين اعتمده فاذا وقعت متحيرا صاح
العلم قم لكسب العيال واداب في تحصيل ولم يذكر الله فاذا
شرعت في ذلك قلص ضرع الدنيا وقت الحلب ورايت باب المعاش
مسدودا في وجهي لان صناعة العلم شغلتني عن تعلم صناعة
فاذا التفت الي ابناء الدنيا رايتهم لا يبيعون شيا من سلعها
الا بدين المشتري وليت من نافعهم اورايا هم نال من دنياهم
بل ربما ذهب دينه ولم يحصل مراده فان قال الضجر اهرب
قال الشرع كني بالموت اغما ان يضيع من يقوت وان قال الجزع
انفرد قال فكيف بمن يقول ففاية الامر اني اشرع في التقلل
من الدنيا وقد ربيت في نعيمها وعذبت بلبانها ولطف مزاجي
يرق لطف وضعه بالعادة فاذا غيرت لباسي وخشنت مطعمي
لان القوت لا يحتمل الانبساط نفر الطبع لفراق العادة فحل

المرض

المرض فتطع عن واجبات وواقع في آفات ومعلوم ان لين اللقمة
بعد التحصيل من الوجوه المستطابة وتخشينها لمن لم يتالف
سعي في تلف النفس فاقول كيف اصنع وما الذي افعل واخلوا
بنفسي في خلواتي واتزيد من البكا على نقص حالاتي واقول اصف
حال العلما وجسمي يضعف عن اعادة العلم وحال الزهاد وبدني
لا يقوى على الزهد وحال المحبين ومخالطة الخلق تشتت
همي وتنقش صور المحبوبات من الهوي في نفسي فتصدء مراة
قلبي وشجرة المحبة تحتاج الى تربية في تربة طيبة تشفي
ماء الخلوة من دولاب الفكرة وان اثرت التكسب لم اطق وان
تعرضت لابناء الدنيا مع ان طبعي الانفة من الذل وتديني يمنعني
فلا يبقى للميل مع هذين الجاذبين اثر ومخالطة الخلق تؤذي
النفس مع الافلاس فلا تحقيق التوبة اقدر عليه ولا نيل مرتبة
من علم او عمل او محبة يصح لي فاذن رايتني كما قال القابل
القاه في الماء مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء
تحيرت في امري وبكيت على عمري وانادي في فلوات خلواتي بما
سمعته من بعض العوام وكانه وصف حالي فصل
واحسرتي كم اداري فيك تغيري مثل الاسير بلا حلى ولا سيري
ما حيلتي في الهوي قد ضاع تدبيري لما شكلت جناحي قلت لي طيري
فصل تاملت امر الدنيا والاخرة فوجدت حوادث الدنيا
حسبته طبيعيه وحوادث الاخرة ايمانية تبينيه والحسيات اقوي
حدثا لمن لم يقوي علمه ويقينه والحوادث انما تبقى بكثرة اسبابها

فمخالطة الناس ورؤية المستحسنات والتعرض بالملذوذات
يقوي حوادث الحس والعزله والفكر والنظر في العلم يقوي
حوادث الاخرة ويبين هذا بان الانسان اذا خرج يمشي في
الاسواق ويبصر زينة الدنيا ثم دخل الي المقابر وتفكر ورق
قلبه فانه يحس بين الحالتين فرقا بينا وسببه ذلك التفرض
باسباب فعليك بالعزلة والذكر والنظر في العلم فان العزلة
جيده والفكر والعلم ادويه والدواعي التخليط لاينفع وقد
تمكنت منك اخلاط المخالطة للخلق والتخليط في الافعال
فليس لك دوا الا ما وصفت لك فاما اذا خالطت الخلق وتعرضت
للشهوات تعرضت صلاح القلب رهنت الممتنع **فصل**
تاملت حرص النفس على ما منعت منه فرايت حرصها يزيد
على قدر قوة المنع ورايت في الشرب الاول ان ادم عليه السلام
لما نهي عن الشجرة حرص عليه مع كثرة الاشجار المغنية عنها
وفي الامثال الماء حريص على ما منع وتواق الى ما لم ينل وتقال
لوامر الناس بالجوع لصبروا ولو نهوا عن تفتيت البعر لرغبوا
فيه وقالوا لما نهينا عنه الا لشيء وقد قيل
وحب شيء الى الانسان ما منعا • فلما بحثت عن سبب ذلك وجدت
شيئين احدهما ان النفس لا تصبر على الحرص فانه يكفي حصرها
في البدن صورة ما حصرت في المعنى يمنع زادطيبتها ولهفا
لو قعد الانسان في بيته شهرا لم يصعب عليه ولو قيل له
لا تخرج من بيتك يوما لطال عليه والثاني انها يشق عليها

الدخول تحت حكم ولهذا تستلذ الحرام ولا تكاد تستطيب المباح
ولذلك يسهل عليها التعبد على ما تري وتؤثر لاعلى ما يؤثر **فصل**
مازالت نفسي تنازعني لما يوجبه مجلس الوعظ وتوبة التائبين
ورؤية الزاهدين الي الزهد والانقطاع عن الخلق والانفراد
بالاخرة فتاملت ذلك فوجدت عمومه من الشيطان فان
الشيطان يري انه لا يخلوا الي مجلس من خلق لا يجمعون ويكون
ويندبون علي ذنوبهم ويقوم في الغالب جماعة يتوبون ويتعاهدون
شعور الصبا وربما اتفق خمسين ومائة ولقد تاب عندي في
بعض الايام اكثر من مائة وعمومهم صبيان قد نشأوا على اللعب
والانهماك في المحارم فكان الشيطان ابعد غوره في الشر راني
اجتذب الي من اجتذب منه فاراد ان يشغلني عن ذلك بما يزخرفه
ليخلوا هو عمن اجتذبه من يده ولقد حسن الانقطاع عن المجالس
وقال لا يخلوا من تصنع للخلق فقلت اما زخرفة الالفاظ وتزويقها
واخراج المعني من مستحسن العبارة ففضيلة لا رذيلة واما ان
اقصد الناس بما لا يجوز في الشرع فعاذ الله ثم رايته يريني في
التزهد قطع اسباب ظاهرها الاباحة من الاكتساب فقلت
له فان طاب لي الزهد وتمكنت من العزلة فنفد ما بيدي واحتاج
بعض عيالي الست اعود التقفري فدعني اجمع ما يسد خلتي
ويصونني عن مسئلة الناس فان مدعمري كان نعم السبب والا
كان للعيالة ولا اكون كراكب ارتق ماء • لرويه شراب فلما
ندم وقت الفوات لم ينتفع بالندم وانما الصواب توطية المضيع قبل النوم

وجمع المال الشاذ المخلة قبل الكبر اخذ ابالحزم وقد قال الرسول
لان تتركوا ورثتك اغنيا خير لك من ان تتركهم عالة يتكففون
وقال نعم المال الصالح للرجل الصالح واما الانقطاع فينبغي ان
تكون العزلة عن الشر لا عن الخير والعزلة عن الشر واجبة على
كل حال واما تعليم الطالبين وهداية المريدين فانه عبادة العالم
وان من تخييل بعض العلما ايثاره للتنفل بالصلاة والصوم
عن تصنيف كتاب او تعليم علم ينفع لان ذلك بذر يكثر ريعه
ويمتد زمان نفعه وانما تميل النفس الى ما يزخرفه الشيطان
من ذلك لمحبتين احدهما حب البطالة لان الانقطاع عندها
اسهل والثاني لحب المدحة فانها اذا توسمت بالزهد كان ميل
القلوب اليها اكثر فعليك بالنظر في الشرب الاول فكن مع
الشرب المقدم وهم الرسول واصحابه فهل نقل عن واحد
منهم ما ابتدعه جهلة المتزهدين والمتصوفة من الانقطاع
عن العلم والانفراد عن الخلق وهل كان شغل الانبيا الا
معاناة الخلق وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر الا ان يقطع
من ليس بعالم يقصد الكف عن الشر فذاك في مرتبة المحتمي
يخاف شر التخليط فاما الطبيب العالم بما يتناول فانه ينتفع
بما يناله **فصل** تاملت المراد من الخلق فاذا هو الذل
واعتقاد التقصير والعجز ومثلت العلما والزهاد العاملين
صنفين فاقمت في صف العلما مالكا وسفيان وابا حنيفة
والشافعي واحمد وفي صف العباد مالك بن دينار ورابعة ومعروف

الكرخي وبشر بن الحارث فكلما جد الجد في العبادة وصاح
بهم لسان الحال عبادانكم لا يتعداكم نفعها وانما يتعدى نفع
العلما وهم ورثة الانبيا وخلفاء الله في الارض وهم الذين عليهم
المعول ولهم الفضل اذا اطرقوا وانكسروا وعلموا صدق تلك
الحال وجاء مالك بن دينار الى الحسن يتعلم منه ويقول الحسن استاذنا
واذا راى العلما لهم بالعلم فضلا صاح لسان حال بالعلما وهل
المراد من العلم الا بالعمل وقال احمد بن حنبل وهل يراد العلم الا لما
وصل اليه معروف ومع عن سفيان الثوري قال وددت ان يدي
قطعت ولم اكتب الحديث وقال ام الدرداء الرجل العلمت بما علمت
قال لا قالت فلم تستكثر من حجة الله عليك وقال ابو الدرداء ويل لمن
يعلم ولم يعمل مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة وقال الفضيل
يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد فما
يبلغ من الكل قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فجاء سفيان الى رابعة
فجلس بين يديها ينتفع بكلامها قال العلما العلم على ان المقصود منه
العمل به وانه الة فانكسروا واعترفوا بالتقصير فحصل الكل على الاعتراف
والذل فاستخرجت المعرفة منهم حقيقة العبودية باعترافهم فذلك
هو المقصود من التكليف **فصل** تاملت قوله تعالى يحبهم ويحبونه
فاذا تابى اثبات محبة الخالق توجب قلقا وقالت محبة ما عندي قد برت
ذلك فاذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس وبيان هذا ان محبة الحس
لا تتعدى الصور الذاتية ومحبة العلم والعمل تري الصور المعنوية
فتحبها فانا نري خلقا يحبون ابا بكر وخلقا يحبون عليا وقوما يتعصبون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاحمد بن حنبل وقوما للاشعري فيقتتلون ويبذلون النفوس في ذلك وليسوا من رأي صور القوم ولا صور القوم توجب المحبة ولكن لما تصورت لهم المعاني قد لتهم على كمال القوم في العلوم وقع الحب لتلك الصور التي شوهدت بأعين البصائر فكيف لمن ضيع تلك الصور الحسنية وابدلها وكيف لا احب من وهب لي ملذوذات حسي وعرفني ملذوذات علمي فان التذاذي بالعلم وادراك العلوم اولى من جميع اللذات الحسية فهو الذي علمني وخلق لي ادراكا وهداني الى ما ادركته ثم انه يتحلى لي في كل لحظة في مخلوق جديد اراه فيه باتقان ذلك المصنوع وحسن ذلك المصنوع فكل محبوبا يأتي منه وعنه وبه الحسية والمعنوية وتسهيل سبل الادراك به والمدركات منه والذ من كل لذة عرفني به فلولا تحليه ما عرفته وكيف لا احبه من انا به وبقاي منه وتدبيري بيده ورجوعي اليه وكل مستحسن محبوب هو صنعه وحسنه وزينه وعطف النفوس اليه فذلك الكامل القدرة احسن من المقدور والعجيب الصنعة اكمل من المصنوع ومعنى الادراك احلا عرفانا من المدرك ولو انتا رأينا نقاشا عجيبا لاستغرقنا تعظيم النقاش وتهويل شانه وتعريف حكمته عن حب المنقوش وهذا مما يفزع اليه الافكار الصافية اذا خرق نظرها المحسات ونفذ الى ما وراءها فحينيذ يقع محبة الخالق ضرورة وعلى قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحب له فان قوي ارجيته قلقا وانما لي بالعارف الى مقام الهيبة اوجبت خوفا وان اخرق به الى تلجج الكرم اوجب اوجب رجاء قويا

وقد

قد علم كل اناس مشربهم **فصل** تاملت حالا عجيبة وهي ان الله سبحانه وتعالى قد بني هذه الاجسام متقنه على قانون الحكمة فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته ولطيف حكمته ثم عاد فنقضها فتحيرت العقول بعد اذعانها له بالحكمة في سرد ذلك الفعل فاعلمت انها استعاد المعاد وان هذه البنيه لم تخلق الا لتحور في مجاز الحرفه وتتجر في موسم المعامله فسكنت العقول لذلك ثم رات اشيا من هذا الجنس اظرف منه مثل احترام شاب ما بلغ بعض المقصود بنيا نه واعجب من ذلك اخذ طفل من اكف ابويه يتململان ولا يظهر شي سلبه الله الغني عن اخذه وهما اشد الخلق فقرا الى بقايه واظرف منه ابقاهم لا يدري معنى البقا وليس له بنيه الا بجود اذي ومن هذا الجنس تقتير الرزق على المومن الحكيم وتوسعته على الكافر الاحمق في تطاير لهذه المذكورات يتحير العقل في تعليلها فيبقى مبهوتا فلم ازل اتلمح جلة التكاليف فاذا عجزت قوي العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل علمت قصورها عن درك جميع المطلوب فاذعنت مقرة بالعجز وبذلك يودي مفروض من تكليفها فلو قيل للعقل قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بني فيجوز ان ينقدح في حكمته انه نقض لقال لا اني عرفت بالبرهان انه حكيم وانا اعجز عن ادراك علل فاسلم على رغمي مقرا بعجزي **فصل** تاملت فوايد النكاح ومعانيه وموضوعه فرايت ان الاصل الاكبر في وضعه وجود النسل لان هذا الحيوان لا يزال يتحلل ثم يتخلف المتحلل الغذا ثم

يتحلل من الاجزاء الاصليه ما لا يخلفه شيء فاذا لم يكن بد من فنايه
وكان المراد امتداد ازمان الدنيا جعل النسل خلفا عن الاصل
ولما كانت صورة النكاح تاباها النفوس الشريفة من كشف عورة
وملاقاة ما لا يستحسن لنفسه جعلت الشهوة تحت ليحصل
المقصود ثم رايت هذا المقصود الاصلي يتبعه شيء اخر وهو
استفراغ هذا الماء الذي يوذي دوام احتقانه فان المني يتفصل
من الهضم الرابع فهو من اصني جوهر الغذاء واجوده ثم يجتمع
فهو احد الذخاير للنفس فانها تدخر لبقايها وتوليها الدم ثم
المني ثم تدخر الثقل الذي هو من اعمدة البدن كانه يخوف عليهم
غيره فاذا زاد اجتماع المني افلق علي نحو اقلاق البول للحاقن
الا ان اقلاقه من حيث المعني اكثر من اقلاق البول من حيث
الصورة فتوجب كثرة اجتماعه وطول احتباسه امراضا صعبة
لانه يترقي من بخاره الي الدماغ فيوذي وربما احدث سيئة ومتى
كان المزاج سليما فالطبع يطلب بروز المني اذا اجتمع كما يطلب
بروز البول وقد ينحرف بعض الامزجة فيثقل اجتماعه عنده
فيشتد طلبه لاخراجه وانما يتكلم علي المزاج الصحيح فاقول قد
بينت انه اذا وقع به احتباسه اوجب امراضا وجدادا فكارا
رديّة وطلب العشق والوسوسه الي غير ذلك من الافات وقد
يجد صحيح المزاج يخرج ذلك اذا اجتمع وهو بعد متثاقل فكانه
الاكل الذي لا يشبع فبحثت عن ذلك فرايته وقوع الخلل في المنكوح
اما لذمامته وقبح منظره اولآفة فيه اولانه غير مطلوب للنفس فحينئذ

يخرج

يخرج منه وينقى بعضه فاذا اردت معرفة ما يدلك علي ذلك فقس مقدار
خروج المني في المحل المشتهي وفي المحل الذي هو دونه كالوطي بين
الفخذين بالاضافه الي الوطي في محل النكاح وكوطي البكر بالاضافة الي
وطي الثيب فعلم حينئذ ان تخير النكاح يستقصي فضول المني فيحصل
للنفس كمال اللذة لموضع كمال بروز الفضول ثم قد يوثر هذا في الولد
ايضا فانه اذا كان من شابين قد جبلتا انفسهما عن النكاح مديدة
كان الولد اقوي منه من غيرهما او من المدمن علي النكاح في الاغلب ولهذا
كره نكاح الاقارب لانه مما يقبض النفس عن انبساطها فيتخيل الانسان
انه ينكح بعضه ومدح نكاح الغرايب لهذا المعني ومن هذا الفن يحصل
كثير من المقصود من دفع هذه الفضول الموذية بمنكوح مستجد وان
كان مستقبح الصورة مالا يحصل به العبادة ومثال هذا ان الطاعم اذا
امتلا خبزا ولحما حيث لم يبق فيه فضل لتناول لقمة قدمت اليه الحلوي
فيتناول فلو قدم اليه منها لتناول للان الجدة لها معني عجيب
وذلك ان النفس تميل الي ما الفت وتطلب غير ما عرفت وتتخايل لها
في الجديد نوع مراد فاذا لم تجد مرادها صدفت الي جديد اخر فكانها
قد علمت وجود غرض تام بلا كدر وهي تتخايله فيما تراه وفي هذا
المعني دليل مدفون علي البعث لان خلق هذه متعلقه بلا متعلق نوع
عبث فافهم هذا فاذا رات النفس عيوب ما خالطت في الدنيا عادت
تطلب جديدا ولذلك قال الحكما العشق العمي عن عيوب المحبوب فمن تامل عيوبه
سلا ولذلك يستحب للمراة ان لا تبعد عن زوجها بعدا تنسيه اياها ولا تقرب منه
قربا يملها ولذلك يستحب له ليلا يملها او يظهر لديه مكنونا يعيبها

وينبغي له ان لا يطلع منها على عورة ويجتهد في ان لا يشم منها
الا طيب ريح الى غير ذلك من الخصال التي تستعملها النساء الكيما
فانهن يعلمن ذلك بفطرهن من غير احتياج فاما الجاهلات
فانهن لا ينظرن في هذا فيستعمل التفات الازواج عنهن من
اراد نجابة الولد وقضاء الوطر فليتخير المنكوح ان كان روجته
فلينظر اليها فاذا وقعت في نفسه فليتزوجها ولينظر في
كيفية وقوعها في نفسه فان علامتها تعلق بالقلب حبه انه لا
يكاد يصرف الطرف عنه فاذا انصرف الطرف قلق انقلب تتقاضى
النظرة فهذا الغاية ودونه مراتب على مراتب على مقادير ها
يكون بلوغ الاغراض وان كان جارية تشتري فلينظر اليها
ابلغ من ذلك النظر ومن قدر على مناظقة المراة او مكالمتها
بما يوجب التنبيه ثم ليرى ذلك منها فان الحسن في الغم
والعينين وقد نص احمد على جواز ان ينظر الرجل من المراة
التي يريد نكاحها ما هو عورة يشير الى ما يزيد على الوجه ومن
امكنه ان يوخر العقد وشراء الجارية لينظر كيف تؤقان قلبه
فانه لا يخفى على العاقل توقان النفس لاجل المستحد وتوقانها
لاجل الحب فاذا راى قلق الحب اقدم فانه قد اخبرنا محمد بن عبد
الباقي قال اخبرنا احمد بن احمد قال اخبرنا ابو نعيم قال حدثنا
سليمان بن احمد قال حدثنا عبد الجبار بن ابي عامر قال حدثني
ابي قال حدثني خالد بن سلام قال حدثنا عطا الخراساني قال مكتوب
في التوراة لا تزوج على غير هوى حسرة وندامة الى يوم القيمة ثم

ينبغي

ينبغي للمتخير ان يتفرس الاخلاق فانها من الخفي فان الصورة اذا
خلت من المعنى كانت كحمراء الدمن فان نجابة الولد مقصودة
وفراغ النفس من الاهتمام بود محبوس اصل عظيم يوجب اقبال
على المهمات ومن فرغ من المهمات العارضة اقبل على المهمات
الاصليه ولهذا جاء في الحديث لا يقضي القاضي بين اثنين وهو
غضبان واذا العشا وحضرت العشا فابدوا بالعشا من قدر
على امراة صالحة في الصورة والمعنى فليغض من عوراتها وليجتهد
هي في مراضيه من غير قرب يمل ولا بعد ينسى وتقدم على التقنع
له يحصل الغرضان منها الولد وقضاء الوطر مع الاحتراز الذي
اوصيت به تدوم الصحبة ويحصل الغنا بها عن غيرها فان قدر
على الاستكثار فاضاف اليها سواها علما انه يبلغ الغرض الذي
يفرغ قلبه زيادة تفريغ كان افضل لحاله فان خاف من وجود
الغيره وما يشغل القلب الذي قد اهتما بجمع همة او خوف
وجود مستحسنه تشغل قلبه عن ذكر الاخره او يطلبه منه ما يوجب
خروجه عن الورع ويدخل فيما اوصيت به انه يبعد في المستحسنات
العفاف فليبالغ الواحد لهن في حفظهن وسترهن فان وجد ما لا
يرضيه عجل الاستبدال فانه سبب السلو وان قدر على الاقتصار
فان الاقتصار على الواحدة اولى فان كانت على الغرض قنع وان لم
تكن استبدل ونكاح المراة المحبوبه يستفرغ الماء المجتمع فيوجب
نجابة الولد وتمامه وقضا الوطر بكماله ومن خاف وجود الغيرة فعليه
بالسراري فانهن اقل غيرة والاستظراف لهن امكن من استظراف الزوجات

وقد كان جماعة يمكنهم الجمع وكان النساء يصبرن فكان لداود عليه السلام
مايه ولسليمان الف امراة وقد علم حال نبينا محمد واصحابه وقد كان
لامير المومنين علي اربع حرايروسبع عشرة سرية وتزوج ابنه الحسن
بنحو من اربع مايه الي غير هذا مما يطول ذكره فافهم ما اشرت اليه
تقربه ان شاء الله تعالي فصل كل شي خلق الله تعالي في الدنيا فهو
انموذج في الاخرة وكل شي يجري فيها انموذج مايجري في الاخرة فاما
المخلوق منها فقال ابن عباس ليس في الجنة شي يشبه ما في الدنيا الا
الاسما وهذا لان الله تعالي شوق بنعيم الي نعيم وخوف بعذاب من
عذاب فاما مايجري في الدنيا فكل ظالم معاقب في العاجل علي ظلمة
قبل الاجل وكل مذنب ذنبا وهو معني قوله تعالي من يعمل سوء يجز به
وربما اي العاصي سلامة بدنه وماله فظن ان لا عقوبة وغفلته عما عوقب
به عقوبة وقد قال الحكما المعصية بعد المعصية عقاب المعصية والحسنه
بعد الحسنه ثواب الحسنه وربما كان العقاب العاجل معنويا كما قال
بعض احبار بني اسرايل يارب كم اعصيك ولا تعاقبني فيقال له كم اعافيك
ولا تدري ايس قد حرمتك حلاوة مناجاتي فمن تامل هذا الجنس من
المعاقبة وجده بالمرصاد حتي قال وهب بن الورد وقد سئل ايجد
لذة الطاعة من يعصي فقال ولا من هم قرب شخص الطلق بصره فحرم
اعتبار بصيرته او لسانه فحرم صفا قلبه او اثر شبهة في مطعمه
فاظلم سره وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة الي غير ذلك وهذا
امر يعرفه اهل محاسبة النفوس وعلي ضده يجعل الله من يتقي الله تعالي
من حسن الجزا علي التقوي عاجلا كما في حديث ابي امامة عن النبي صلي الله

عليه

عليه وسلم يقول الله تعالي النظرة الي المراة سهم مسموم من سهام
الشيطان من تركه ابتغاء مرضاتي اثبته ايمانا يجد حلاوته في
قلبه فهذه نبذة من هذا الجنس تنبه علي محفلها فاما المقابلة الصريحه
في الظاهر فقل ان تختبس ومن ذلك قول النبي الصحيحه تمنع الرزق
فان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد روي المفسرون
ان كل شخص من الاسباط جاء باثني عشر ولدا وجا يوسف باحد عشر
بالهمة وشل هذا اذا تامله ذو بصيرة راي العجب وفهم كما قال
الفضيل اين لاعصي الله عز وجل فاعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي
وعن ابي عثمان النيسابوري انه انقطع شسع نعله في مضيه الي
الجمعة فتعوق لاصلاحه ساعة ثم قال انما انقطع لاني ما اغتسلت
للجمعة ومن عجايب الجزا في الدنيا انه لما امتدت ايدي الظلم من اخوة
يوسف وشروه بثمن بخس امتدت اكفهم بين يديه بالطلب يقولون
وتصدق علينا ولما صبر هو يوم الهمة ملك المراة حلالا ولما بغت عليه
بدعواها ما جزا من اراد باهلك سوءا نطقها الحق بقولها انا راودته
ولوان شخصا ترك معصية لاجل الله تعالي لراي ثمرة ذلك وكذلك
اذا فعل طاعة وفي الحديث اذا ملتم فتاجروا الله بالصدقة اي
عاملوه لزيادة الارباح العاجلة ولقد راينا من سامح نفسه بما يمنع
منه الشرع طلبا للراحة العاجلة فانقلبت احواله الي النقض العاجل
وعكست عليه المقاصد حكي بعض المشايخ انه اشتري في زمن شبابه
جارية قال فلما ملكتها تاقت نفسي اليها فمازلت اسال الفقها لعل
مخلوقا يرخص لي فكلهم قال لا يجوز النظر اليها بشهوة ولا لمسها

ولاجامعها الابعد حيضها قال فسالتها فاخبرتني انها اشتريت
وهي طيض فقلت قرب الامر فسالت الفقها فقالوا لاتعتد بهذه
الحيضة حتى تحيض في ملكه قال فقلت لنفسي وهي شديدة التوقان
لقوة الشهوة وتمكن القدرة وقرب المصاقبة ما تقولين فقالت
الايمان بالصبر على الجمر شديد فصبرت اوابيت فصبرت الي ان حان ذلك
فاثابني الله تعالى على ذلك الصبر نيل ما هو اعلا منها وادفع

فصل نظرت في الادلة على الحق فوجدتها اكثر من الرمل ورايت
من اعجبها ان الانسان قد يخفي ما لا يرضاه الله فيظهره الله عليه
ولو بعد حين وينطق الالسنه به وان لم يشاهده الناس وربما
اوقع صاحبه في افتضاح بفضحه بها بين الخلق فيكون جوابا لكل ما
اخفى من الذنوب وذلك ليعلم الناس ان هناك من يجازي على الزلل
ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار ولا يضاع لديه
عمل وكذلك يخفي الانسان الطاعات فتظهر عليه ويتحدث الناس
بها واكثر منها حتى انهم لا يعرفون له ذنبا ولا يذكرونه الا بالمحاسن
ليعلم ان هناك ربا لا يضيع عمل عامل وان قلوب الناس لتعرف
حال الشخص وتحبه او تاباه وتذمه او تمدحه وربما لم يتحقق ما
بينه وبين الله تعالى فانه يكفيه كلهم ويدفع عنه كل شر وما اصلح
عبد ما بينه وبين الخلق دون الحق الا انعكس مقصوده وعاد
حامده ذاما **فصل** تاملت الارض ومن عليها بعين فكري
فرايت خرابها اكثر من عمرانها ثم نظرت في المعمور منها فوجدت
الكفار مستولين على اكثره ووجدت اهل الاسلام في الارض قليلا

بالاضافة الى الكفار ثم تاملت المسلمين فرايت الاكساد قد شغلت
جمهورهم عن الرازق واعرضت بهم عن العلم الدال عليه فالسلطان
مشغول بالامر والنهي واللذات المعارضة له ومياه اغراضه
جارية لا شكر لها ولا يتلقاه احد بموعظة بل بالمديحة التي يقوي
هوى النفس وانما ينبغي ان يقادم الامراض بامدادها كما قال عمر
بن المهاجر قال لي عمر بن عبد العزيز اذا رايتني قد حدت عن الحق
فخذ بثيابي وهزني وقل مالك يا عمر وقال عمر بن الخطاب رحم الله
من اهدى الينا عيوبنا فاحوج الخلق الى النصايح والمواعظ السلطان
واما جنوده فجمهورهم في شكر الهوى وزينة الدنيا وقد اضاف الى
ذلك الجهل وعدم العلم فلا يولهم ذنب ولا يتنزعجون من لبس حرير
او شرب خمر حتى ربما قال بعضهم ايش يعمل الجندي ايلبس القطن
ثم اخذهم للاشيا من غير وجهها فانظلم معهم كالطبع وارباب
انبوادي قد عمهم الجهل واهل القرى فكذلك تقلبهم في الاجناس
والتهوين لامر الصلوات وربما صلت المراة منهن قاعدة ثم نظرت
في التجار فرايتهم قد غلب عليهم الحرص حتى لا يرون سوى وجوه
الكسب كيف كانت وصار الربا في معاملاتهم فاشبا فلا يبالي احدهم
من اين حصل له الدنيا وهم في باب الزكاة مفرطون ولا يستوحشون
من تركها الا من عصم الله ثم نظرت في ارباب المعاش فوجدت
الغش في معاملاتهم عاما والتطفيف والبخس وهم مع هذا
معذورون بالجهل ورايت عامة من له ولد يشغله ببعض هذه
الاشغال طلبا للكسب قبل ان يعرف ما يجب عليه وما يتاديه

هذا شرح رسالة الشيخ رسلان الدمشقي
للعلامة العارف المحقق الشيخ علوان
بن عطية الحموي قدس الله سرهما
ونفعنا بهما في الدنيا
والاخرة
م

ثم نظرت في النساء فرايتهن قليلات الدين عظيمات الجهل
ما عندهن من الاخرة خبر الا من عصم ابدا فقلت واعجبا فمن
بقي لخدمة الله عز وجل ومعرفته فنظرت فاذا العلماء والمتعلمون
والعباد المتزهدون فتاملت العباد والمتزهدين فرايت
جمهورهم يتعبد بغير علم ويانس الى تعظيمه وتقبيل يده وكثرة
اتباعه حتى ان احدهم لو اضطر الى ان يشتري حاجة من السوق
لم يفعل لئلا ينكسر جاهه ثم ترقى بهم رتبة الناموس الى
ان لا يعود مريضا ولا يشهد جنازة الا ان يكون عظيم القدر
عندهم ولا يتزاورون بل ربما طعن بعضهم على بعض فقد صارت
النواميس كالاوثان يعبدونها ولا يعلمون وفيهم من يقدم
على الفتوى بجهل ليلا يخلو ناموس التصدر ثم يحببوا العلماء
لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون ان المذموم من الدنيا ما هم فيه
لا تناول المباحات ثم تاملت العلماء والمتعلمين فرايت القليل
في المتعلمين من عليه امارة النجابة لان امارة النجابة طلب العلم
للعمل به وجمهورهم يطلب ما يصير شبكة للكسب اما الباحث
فقنا مكان او ليصير قاضي بلد او قدر ما يتميز به عن ابناء
جنسه ثم يكتفي ثم تاملت العلماء فرايت اكثرهم يتلاعب
به الهوى ويستخدمه فهو يؤثر ما يصده العلم عنه ويقبل
على ما ينهاه ولا يكاد يجد ذوق معاملة الله سبحانه واعانه
ان يقول الا ان الله تعالى لا يخلي الارض من قايم له بالحجة
جامع بين العلم والعمل عارف بحقوق الله خايف منه فذلك

قطب